

الجيلي
وكتابه الإنسان الكامل

في كتابات

الشيخ عبد الرحمن الوكيل
مؤسس
جماعة أنصار السنة المحمدية

إعداد
فتحي أمين عثمان
مدير مركز التراث
دبلوم الدراسات والبحوث الإسلامية العالمية



الطبعة الأولى
١٤٢٦ - ٢٠٠٥م

رقم الايداع	٩٣٥٩ /٢٠٠٥
الترقيم الدولى	I.S.B.N 977.0768.01.9

الشيخ عبد الرحمن الوكيل

الرئيس العام السابق لجماعة أنصار السنة
١٣٣٢ هـ - ١٣٩٠ هـ / ١٩١٣م - ١٩٧١م

اسمه : عبد الرحمن عبد الوهاب الوكيل .

مولده : ولد في قرية زاوية البقلي - مركز الشهداء - منوفية في ٢٣/٦/١٩١٣م .

حفظ القرآن الكريم في كُتَّاب القرية ، ثم التحق بالمعهد الديني في طنطا ، وقد مكث يدرس تسع سنوات .

حصل على الثانوية الأزهرية والتحق بكلية أصول الدين وحصل على الإجازة العالية بتفوق ، ولم يكمل الدراسات العليا ؛ إذ غلبه المرض على ذلك .

حصل أيضًا على درجتي العالمية وإجازة التدريس .

عين مدرسًا للدين بالمدارس الثانوية بوزارة المعارف (التربية والتعليم) .

تعرف على فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي رائد الدعوة السلفية في مصر سنة ١٩٣٦م ، وكانت له مكانة خاصة عند الشيخ حامد الفقي ، حتى أنه عندما حقق رحمه الله كتاب « نقض المنطق » ١٣٧٠هـ/١٩٥١م كتب في مقدمته يقول : « ثم وكلت إلى الأخ الفاضل المحقق عبد الرحمن الوكيل ، وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية عمل مقدمة له ، لأنه متخصص في الفلسفة وله بصر نافذ فيها وهو من خلصاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله » .

انتخب للعمل بالمعهد العلمي بالرياض مع فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب البنا عام ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م وهو من مؤسسي الجماعة ، أطال الله عمره .

وقد أقام المركز العام حفلة لتوديعه مساء الاثنين ١٣٧٢/٢/٢٢هـ وقد خطب كثير من الإخوان ذاكرين سجاياه وفضله وعلمه ، وكتبت مجلة الهدي النبوي تقول : «وأنصار السنة المحمدية إذ يودعون الأستاذ الوكيل – هادم الطواغيت[1] – يسألون الله أن يوفقه ويسدد خطاه وأن ينفع به حيثما حل » .

---

(١) نشير بذلك إلى مجموعة من المقالات كتبها تحت عنوان « طواغيت » .

اختير رحمه الله رئيسًا لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر القديمة ، كما عمل وكيلًا أول للجماعة ، وعند اختيار الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله رئيسًا للجماعة ، تم انتخابه نائبًا للرئيس في ١٣٧٩/٢/٢٢هـ ١٩٥٩/٨/٢٧م ، ثم انتخب رئيسًا للجماعة بعد سفر الشيخ عبد الرزاق إلى السعودية ، وكان ذلك في اجتماع الجمعية العمومية المنعقدة في ١٣٨٠/١/١٥هـ ١٩٦٠/٧/٩م ليكون ثاني رئيس للجماعة بعد مؤسسها وانتخب نائبًا له الشيخ محمد خليل هراس ، رحمه الله .

وعندما أُدمجت الجماعة بغيرها وتوقفت مجلتها « الهدي النبوي » التي كان يشغل رئيس تحريرها ويكتب التفسير بها[٢] انتدب أستاذًا بكلية الشريعة بمكة المكرمة وظل في هذه الوظيفة وهو أستاذ العقيدة بقسم الدراسات العليا ، وفي جوار البلد الأمين غالبه المرض وقضى نحبه ولحق بجوار ربه في ٢٢ جمادى الأولى ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧١م ودفن بالحجون .

(٢) توقف رحمه الله عند تفسير الآية (٥٤) من سورة مريم .

أقوال العلماء عنه

يقول الشيخ محمد عبد الرحيم ، رحمه الله ، في مقدمة كتاب « دعوة الحق » : « لقد كان الشيخ عبد الرحمن الوكيل موفور الحظ من اللغة ، وجمال البلاغة ، ووضوح المعنى ، وسعة الاطلاع ، وشرف الغاية ، كما جمع علمًا مصفًّى من شوائب البدع والخرافات ، وكان حسن اللغة قليل اللحن ، فصيح العبارة ، له اجتهاداته الواعية ، وكان في ذلك نمطًا فريدًا في جماعته لا يشاركه في ذلك إلا حبر سوهاج وعلامتها أبو الوفاء درويش » .

وقال عنه الدكتور سيد رزق الطويل ، رحمه الله : « لقد كان في أخلاقه نسيج وحده سمو في الخلق وعفة في اللسان ، طلق المحيَّا ، منبسط الأسارير ، واسع الثقافة ، متنوع المعرفة أديبًا ، شاعرًا جزل الشعر قوي العبارة » . [مقدمة دعوة الحق] .

ويقول عنه الشيخ أبو الوفاء درويش في « مجلة الهدي النبوي » : « لو كنت أريد أن أوفيه حقه من التمجيد وأن أشرح آثار قلمه الفياض في نفوس القراء وأن أنوِّه بما خصه الله به من شجاعة في الحق نادرة ، وصراحة يعز منالها في أيامنا الحاضرة ، وأن أومئَ إلى ما لازم قلمه

الجرئ من التوفيق في جولاته الموفقة في كل ميادين المعرفة وما امتاز به أسلوبه الجزل من روعة تسيطر على النفوس ، وجلال على القلوب لما استطعت أن أوفيه حقه » .

ويقول عنه الشيخ محمد صادق عرنوس : « إن أخانا الأستاذ النابغة عبد الرحمن الوكيل المعروف بين قراء الهدي النبوي بهادم الطواغيت قد أصبح أخصائيًا في تشريح التصوف والإحاطة بوظائف أعضائه ، والأستاذ الوكيل يتعلم وينبغ ليُمرِّض ويكون سببًا في الشفاء » .

قلت : ويعتبر الشيخ عبد الرحمن الوكيل أول من قال من علماء أنصار السنة المحمدية « بأن التصوف كله شر » . وكان له - رحمة الله عليه - أثر كبير في ظهور الكتابة العلمية عن التصوف في مجلة الهدي النبوي .

وقد ظل يكتب بها قرابة ربع قرن ، ولقد كتب رحمه الله في آخر ما كتب تحت عنوان « نظرات في التصوف » ، وذلك اعتبارًا من عام ١٣٧٩هـ - ١٩٨٦م مقالات بل قُل أبحاثًا بلغت (٤٥) مقالًا جمعتُها كلها ووجدت أنه قد اختط لنفسه منهجًا في الكتابة عن

التصوف يقول هو عنه : « إننا سنعرض هذه القضية عرضًا عادلًا منصفًا فيه إسراف في العدل والإنصاف ، وحسب القارئ إنصافًا في العرض وإيثارًا للعدل الكريم أننا سنبسط آراء التصوف نفسه كما بثها كبار شيوخه ، وكما دافعوا عنها ، تاركين للقارئ الحكم ، وحسبه أن يقارن بين أصول الإسلام التي يعيها كل مسلم وبين آراء التصوف على أننا سنعين القارئ أحيانًا بتذكيره بأدلة هذه الأصول من آيات القرآن وأحاديث السنة الصحيحة » . اهـ .

ومن أراد أن يعرف صلته رحمه الله بالتصوف فليقرأ مقدمة كتابه رسالة مفتوحة إلى شيخ مشايخ الطرق الصوفية والتي سماها « صوفيات » .

إنتاجه العلمي :

يتميز إنتاجه بالأسلوب الرصين ، مع التحقيق الدقيق والدقة المتناهية في نقل النصوص ، وتعتبر كتبه مرجعًا لكل من أراد أن يكتب عن التصوف ، بل لا أكون مغاليًا إن قلت إن معظم من كتب عن التصوف بعده هم عيال عليه .

وأهم مؤلفاته :

« صوفيات » ، « دعوة الحق » ، « هذه هي الصوفية » ، « البهائية » ،

« الصفات الإلهية » . وله كتاب عن القاديانية فُقد قبل الطبع ، ورسالة صغيرة طبعت تحت عنوان « زندقة الجيلي » ..

تحقيقاته :

- حقق كتاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن قيم الجوزية .
- « مصرع التصوف للإمام البقاعي » .
- « الروض الأنف » للسهيلي الأندلسي .

كما لا ننسى أن نذكر بأن الشيخ الوكيل كان شاعرًا مجيدًا قليل الإنتاج في الشعر .

وبعد ؛ فقد ترك الشيخ عبد الرحمن الوكيل مكتبة كبيرة سواء من إنتاجه أو من اقتنائه للكتب حوت كتبًا نادرة في معارف متنوعة ، ويكفي أن يقوم أي باحث بزيارة مكتبته في « مسجد بابل » بالدقي ليعرف قيمة الرجل ومدى إلمامه بشتى العلوم .

من إخوانه في الدعوة بأنصار السنة :

- الشيخ محمد حامد الفقي .
- الشيخ عبد الرزاق عفيفي .

- الشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح .
- الشيخ أبو الوفاء درويش .
- الشيخ محمد صادق عرنوس .
- الشيخ محمد خليل هراس .
- الشيخ محمد علي عبد الرحيم .
- الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي .
- الشيخ محمد عبد الوهاب البنا .

وقد تم بحمد الله وتوفيقه إصدار كتاب : من ضلالات الصوفية ، وسيد الخلق بشر ، وعبد الرحمن الوكيل وقضايا التصوف ، والآن نقدم من تراثه رحمه الله : « الجيلي وكتابه الإنسان الكامل » ، وذلك حتى يتسنى لمن لم يدرك الشيخ حيًّا أن يستفيد من تراث علماء أنصار السنة المحمدية .

وكتبه
فتحي أمين عثمان
مدير مركز التراث

منهجه في الكتابة

١- **يتسم بالإنصاف** : لقد كانت كتابات الشيخ الوكيل عن الصوفية في غاية الإنصاف ، فقد كان - رحمه الله - ونحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا ؛ أكثر إنصافًا من أولئك الذين يتعصبون عن جهل ، أو يهاجمون عن تعصب . وفي هذا يوضح منهجه في الكتابة عن الصوفية فيقول :

وحسب القارئ إنصافًا في العرض ، وإيثارًا للعدل الكريم أننا سنبسط أراء التصوف نفسه كما بينها شيوخه الكبار ، وكما دافعوا عنها ، تاركين للقارئ الحكم - وحسبه أن يقارن بين أصول الإسلام التي يعيها كل مسلم ، وبين أراء التصوف . على أننا سنعين القارئ أحيانا بتذكيره بأدلة هذه الأصول من آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة .

ولكي يتحقق له ذلك المنهج الذي اختطه نجده عندما يتكلم عن كلمة صوفية يسوق أقوال كبار الصوفية حول معنى هذه الكلمة ، ثم يختمها بقول القشيري : « وليس يشهد لهذا الاسم - صوفي - من

حيث اللغة قياس ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب » .

وعندما يتحدث عن وسيلة المعرفة عند الصوفية وأنها تقوم على الذوق والكشف ، دون العقل والشرع ، يسوق في هذا المجال بعضًا من التعريفات التي اصطلح عليها كبار شيوخ الصوفية ، كالقيصري ، وابن عربي في تعريف الذوق . فالقيصري يعرف الذوق بقوله :

« ما يجده العارف على سبيل الوجدان والكشف لا البرهان والكسب ، ولا عن طريق الأخذ بالإيمان والتقليد ، وهو أول درجات شهود الحق بالحق . في أثناء البوارق المتتالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي » .

كما يذكر عن ابن عربي قوله :

« اعلم أن العلوم الذوقية الحاصلة لأهل اللّه ، مختلفة باختلاف القوى الحاصلة مع كونها ترجع إلى عين واحدة » .

٢- من ركائز المنهج في الكتابة عن التصوف عند الشيخ عبد الرحمن الوكيل والتي تدل على الأمانة العلمية - أنه **كان يشرح كلام كبار الصوفية من واقع أقوال مفسريهم** الذين قاموا بتفسير كلام شيوخهم ، ثم يُثَنِّي عليه بالرد والتعليق حتى يبعد عن نفسه شبهة

التحامل ، ومن ذلك أنه عندما تعرض بالنقد لبعض أوراد الصوفية ، نجده يذكر ما شرح به « النابلسي » قول « ابن مشيش » : « وانشلني من أوحال التوحيد واغمسني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع إلا بها ... » وذلك لأن النابلسي صوفي كبير له احترامه ومكانته عند الصوفية ، وحتى لا يتهم أحد الشيخ عبد الرحمن الوكيل بالتحامل والتحيز .

– وتأكيدًا لهذا المعنى ؛ فإنك تجده كثيرًا ما يناشد القارئ ، إن مسه فيما يقول عن الصوفية وَهْم أو رِيبَةٌ أن يقرأ من كتبهم شيئًا مثل « الإنسان » للجيلي ، و« تائية » ابن القارض ، و« الطبقات والجواهر » للشعراني ، و« الإبريز » للدباغ ، و« الجواهر والرماح » للتيجاني ، و« قوت القلوب المستطاب » لحسن رضوان .

٣- وهو يقر بأنه **لا يُداهن في الحق** ، فنراه يقول :

« قد يعيب علينا البعض ممن سحرتهم طقوس الصوفية وشاعريتها الكهنوتية ، قد يعيبون علينا العنف في المحاجة ، لكننا نقول لهؤلاء : رويدكم إنما نسمي الأشياء بأسمائها ونصفها بصفاتها ... » .

لقد كان يرى أن التصوف النظري والتصوف العملي ، شيء

واحد » فالنظرية وليدة التطبيق ، والتطبيق وليد النظرية ، فقد كان لا يرى فرقا بين التصوف القديم والتصوف الحديث ، فهما في نظره متساويان في المنهج والتفكير . والتطبيق والهدف ولذلك يتساءل : وهل القتل على طريقة ابن عطاء السكندري ، غير القتل على طريقة الحلاج ؟ » .

إن مجمل رأيه في الصوفية الفكرة والسلوك لا يخرج عن كون الصوفية يسوون بين مفهوم الوجود وبين مفهوم الرب ، فالوجود هو الرب عندهم . وكان لهذا الوجود صفة الإطلاق ، ثم شاء أن يتعين فظهر في صورة الحقيقة المحمدية ، أو صورة قطب الأقطاب بمعنى آخر ثم تكثرت هذه الحقيقة المحمدية ، أو تجزأت ، فظهرت في صورة مختلفة ، منها الأقطاب الحادثون ، والأوتاد والأبدال ، فكل واحد من هؤلاء جزء من الرب ، أو هو الرب في أحد تعيناته ، هذا هو نظام الوجود عند الصوفية .

إنهم أبوا تصديق اللّه فيما تكلم به عن نفسه ، وأبوا تصديق الرسول فيما وصف به ربه ، ونبذوا العقل ، وصدقوا وثنية الفلسفة المارقة وجعلوا من قضاياها هوية الحقيقة وإنِّيتها ، فأخذوا منها التسوية

بين مفهوم الوجود وبين مفهوم الرب .

ثم جانبوا بعد ذلك الفلسفة كما جانبوا الدين وذهبوا يبنون نظامًا للوجود في غيبه وشهادته ، وروحيته وماديته لا يقره عقل ولا يجيزه دين من الأديان .

ولما رأوا أن العقل يخالفهم اخترعوا أسطورة « الذوق » وقد عرفه « الكمشخانلي » بقوله : « هو أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلي البرقي » (٣)

وعرفه ابن عربي : بقوله : « الذوق أول مبادئ التجليات الإلهية » (٤)

ولقد قالوا – أي الصوفية –: إنما تستمد معارفنا من « الذوق » لا من العقل ، والحقيقة عند الصوفية لا تدرك بالعقل وإنما بالذوق ، ولهذا تتعدد الحقائق بتعدد الأذواق فلكل صوفي ذوق خاص يدرك به الحقيقة .

والصوفية في هذا أشبه بالسوفسطائيين في ناحية المعرفة غير أن

---

(٣) كتاب جامع الأصول للكمشخانلي .

(٤) اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية : لابن عربي .

السوفسطائيين جعلوا الإحساس الجزئي أساس المعرفة ، أما الصوفية فهم اخترعوا أسطورة « الذوق » هذا للتخلص من أحكام العقل .

أما تحايلهم للتخلص من الدين الحق فيتمثل في اختراع أسطورة الظاهر والباطن . فالصوفية عندما وجدوا أن خرافاتهم ينكرها الشرع . راحوا يقولون إن للقرآن أو للشريعة ظاهرًا وباطنًا .

أما الظاهر فهو لعلماء الرسوم ، وأما الباطن فللصوفية فقالوا بالشريعة والحقيقة .

أما الشريعة فهي ما يؤخذ من الكتاب والسنة ، وأما الحقيقة فهي ما يؤخذ من باطنها مؤيدًا بذوقهم فحرفوا الكلم عن مواضعه . فهذا ابن عربي يفسر قوله تبارك وتعالى : حكاية عن فرعون : ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ .

يفسرها بقوله : (لأجعلنك من المستورين) ويبرر ذلك بقوله أن السين من الحروف الزائدة ، فإذا حذفت من كلمة « سجن » بقي جن ومعناه الوقاية والستر – ولقد عمدت الصوفية إلى هذا التحايل عندما وجدت أن اللغة لا تسعفها .

ولقد أدت فكرة الظاهر والباطن بالصوفية إلى القول بوجود ما

يسمى بالمملكة الباطنية وهي القطب وأعوانه والديوان الباطني ومكانه .

- والقطب عند الصوفية قطب حادث وقديم أو حسي ومعنوي ، والقطب الحسي حادث يستخلف بدلا منه عند موته من أقرب الأبدال منه ، فحينئذ يقوم مقامه بدل هو أكمل الأبدال .

- والأبدال هم أربعون رجلاً لكل منهم درجة مخصوصة ، اثنان وعشرون بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ، كلما مات واحد منهم استبدل مكانه آخر ، ومن هؤلاء الأبدال الأربعين يتعين ثلاثة أوتاد ومن هؤلاء الأوتاد ، يختار القطب الحادث ، وبذلك يكون القطب الحسي قطب مسبوق بقطب ، ويخلفه قطب ، فقطبيته حادثة محدودة بوقت **أما قطب الأقطاب فهو قطب معنوي قديم غير مسبوق بقطب ، ولا يخلفه قطب آخر ، فهو واحد منذ القدم سرمدي القطبائية أبديها . وهو قطب بالنسبة إلى ما في عالم الغيب والشهادة .**

- وحتى لا يظن أحد الغلو بالشيخ رحمه الله فقد ذكر بعض تعاريف القطب المعنوي أو قطب الأقطاب كما جاءت عند كبارهم ،

فيقول القاشاني :

« هو قطب بالنسبة إلى جميع المخلوقات في عالم الغيب والشهادة ولا يستخلف بدلا من الأبدال ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق ، وهو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة لا يسبقه قطب ولا يخلفه آخر ، وهو الروح المصطفوي المخاطب بلولاها ما خلقت الكون وتدور عليه دوائر الكون ويحيط بأقطارها »(٥).

ولقد خرج الصوفية بمعنى الولاية من مدلولها الشرعي إلى مدلول آخر غير شرعي . وقد دانت الصوفية بفكرة ختم الولاية التي وضعها الحكيم الترمذي وادعت أن خاتم الأولياء أفضلهم ، قياسًا على خاتم النبوة بل إن بعضهم جاهر بأن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء . لأن خاتم الأولياء يأخذ عن اللّه مباشرة ، أما خاتم الأنبياء فيأخذ عن اللّه بواسطة الملك .

كما خرجوا بلفظ المحبة عن مدلوله الشرعي إلى مدلول بدعي ، فأطلقوا لفظ العشق بدلا من لفظ المحبة فصار حالهم بدعيًا لا شرعيًا ، وجرهم ذلك إلى الحديث عن الفناء وفناء الفناء الذي قادهم إلى

---

(٥) من كتاب « الوجوه الغر » (١٠٣/٢) .

عقيدة الحلول ووحدة الوجود ثم وحدة الأديان لا وحدة الدين .

كذلك تدين الصوفية ويكثر الحديث بينهم عن الكرامات التي ينسبونها لشيوخهم أحياءً وأمواتًا . بل إن المناوي يقول : إن أول كرامات الصوفية إحياء الموتى . وناهيك عما في كتب الشعراني من تلك الخرافات . وإيمان الصوفية بما جاء في كتبهم لا حدود له . وإذا قرأت شيئًا منها على أحدهم وسمع ما فيها من مخازي وأقوال ضالة صاح وقد ملكته رعدة وهو يقول (إن هذا مدسوس) فإذا خلا إلى نفسه قال : لعل الشيخ اطلع على قدر اللَّه المغيب .

وعن التصوف النظري والتصوف العملي يرى الشيخ عبد الرحمن الوكيل أنه لا يوجد فرق بين تصوف قديم وتصوف حديث وأن السلوك وليد الفكرة ، والفكرة وليدة السلوك .

وبعد : فقد بقيت لنا كلمة : إذا كان ما في التصوف من الإسلام فقد كفانا الإسلام مؤونة ذلك ، وإذا كان ما في التصوف خارج عن الإسلام فلا حاجة لنا به[٦] .

* * *

(٦) انظر كتابنا : « عبد الرحمن الوكيل وقضايا التصوف » .

إيمان الصوفية بكتبهم

إن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت – رحمه الله – قد قرر أن من الأسباب المفضية إلى ذيوع البدعة وانتشارها ، اعتقاد العصمة في غير المعصوم ، وقال : « وإننا كثيرًا ما نرى ذلك فيمن ينتسبون إلى طرق التصوف وأنهم يقرأون عن شيخ طريقتهم شيئًا من الأحوال التي تنافي الأحكام الشرعية ، فيعتقدون أنها من التشريع الذي خص الله به عباده المقربين ، وأن شيخهم لا يفعل إلا حقًّا فيتبعونه في كل ما يؤثر عنه من قول أو فعل على أنه الطريق المقرب إلى الله الموصل إلى رضاه »(٧).

قلت : ولقد ترتب على اعتقاد العصمة في غير معصوم عند من ينتسبون إلى الطرق الصوفية ، أن صار لديهم نوع من الإيمان بما جاء في كتب شيوخهم ولون من الإكبار لها .

وقد أدرك الشيخ عبد الرحمن الوكيل هذه الحقيقة عندهم ،

---

(٧) مجلة الهدي النبوي – عدد ٢ لسنة ١٣٨٠هـ ، وانظر كتابنا « أسباب البدع ومضارها وأنواعها » .

فذكر في كتابه « **هذه هي الصوفية** » أن الدرويش منهم إذا عرض عليه قول طيفور البسطامي أبي يزيد : « خرجت من الله إلى الله ، حتى صاح مِنِّي فيَّ ، يا من أنا أنت » . أو قوله : « سبحاني ما أعظم شأني »[8]. أو إذا واجهه أحد بما جاء في الطبقات على لسان الشعراني فيما يقصه من كرامات « علي وحيش » الذي يقول عنه في طبقاته[9] : « كان الشيخ رضي الله عنه يقيم عندنا في خان بنات الخَطَا ، وكان كل من خرج - أي بعد اقتراف الجريمة الباغية - يقول له : قف ، قف حتى أشفع فيك .

ولم يكتف بذلك ، بل كان يأتي الدابة وصاحبها قائم على رأسها ، فيحصل له خجل شديد والناس يمرون عليه ، وإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع أن يمشي خطوة .

صاح الدرويش وقد رأيت في بدنه رعدة وهو يقول لك : « إن من يدين بهذا فهو كافر ، ومن لا يعترف بأنه مدسوس فهو كافر حتى إذا خلا إلى شيطانه قال : « إن الشيخ ينفذ ما أطلع عليه من قدر الله

(8) ص160 ج1 تذكرة الأولياء ، وهذه هي الصوفية ص86، 87 .

(9) ص135 ج2 الطبقات طبعة صبيح .

المغيب ، فما فعله كان طاعة لا معصية » .

وعن مدى إيمان الصوفية بكتبهم يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل :

إن الصوفية هنا ، وهناك ، وفي كل مكان يؤمنون بكتبهم ، إيمانًا عنيدًا طاغيًا يأسر منهم في قبضته القاصرة عواطف القلوب ، ومشاعر النفوس وسبحات الخواطر ، وتأملات الفكر ، ويدينون بكل حرف فيها يرمز إلى أسطورة ، وبكل كلمة تفشي خرافة ، فما تناوحت إحساساتهم بالحب إلا لها ، وما فتك بالقلوب أخطبوطهم إلا بها ، **وما قتلت عناكبهم ذباب النفوس إلا بلعابها السام** ، بيد أنهم حين يلقون المؤمنين ، يقولون رياء ومخادعة : مدسوس ! حتى إذا خلوا إلى شياطينهم ، قالوا : « نفتن المؤمنين » .

وإلا فإني أدَوِّي بصيحة الحق ، نتحدى الصوفية وطواغيتها أن يجرؤ واحد منهم على القول : إن تلك الكتب مدسوسة .

أو يستنكر ما تطفح به من كفر ، وليأتنا بأثارة من علم ، أو ظن تدل على أنها دعيةُ النسب إلى من افتروها .

نعم أدوي بصيحة الحق[١٠]: إن تلك الكتب ليست بمدسوسة ،

---

(١٠) الكاتب على حق في هذا التحدي ، وفي الواقع هم إذا وُجهوا بهذه الأفكار =

ويشهد بذلك التاريخ الحق ، وتواتر النقل الصحيح ، ولكن هَبُوها كذلك ، فما ينفعكم ، وأنتم بها تدينون ، وتؤمنون إيمان عابد الخمر بالدِّنِّ والكأس والعربدة .

مدسوسة ! إنها الترسُ الأخير ، يلوذ به من يتأذى منكم تحت صدمة الحق الصاعقة ! وشهادة زور تُفْتَرى ؛ لينجو بها المجرم من عقاب جريمته .

❋ ❋ ❋

= قالوا : مدسوسة لكنهم لا يسيرون إلى آخر الخط لإثبات براءة سادتهم .

زعمهم أن كتبهم أسرار ورموز

وآخرون من أسارى الصوفية يزعمون أن تلك الكتب أسرارٌ ورموزٌ ، لا يفقهها إلا أولئك الذين أباح لهم الغيب الخفي مكنونه ، وقدس أسراره ، أو الذين هتك الله عنهم الحجاب الأعظم ، فخروا تحت عرشه سجدًا يسمعون وحيه ، ويسجلونه رموزًا[١١] في شعرهم ونثرهم .

– من صفات القرآن يا هؤلاء أنه « بيان للناس » ، ومن الناس عالمون وجاهلون ، ومنهم أميون وكاتبون قارئون ، ولكن الله جعله بيانًا لهم جميعًا ، ميسرًا للذكر ؛ ليعبد كل امرئ ربه على بصيرة .

بيد أني سأنحدر إلى فرية أولئك ، فأزعم أن كتب الصوفية رموز مُقَنَّعة بالخفاء ، وأسرارٌ ملثمةٌ بسحر الغيب !!

ولكن أسألك : كيف يُعْبد الله برمز مقنع بالإبهام ، وسر مستغرق في الغموض يحمل من الكفر وجهًا ظاهرًا ؟!

---

(١١) يعني الذوق الخاص بكل إنسان ونتيجة لهذا يصبح الدين والأخلاق بلا معيار ولا ميزان .

أيحق لامرئ أن يعبد ربه بشيء أطبق عليه الجهل به ، وبغير ما شرعه الله في كتابه وأوحاه الله إلى رسوله ﷺ ؟!

وأسألك - ولا تغضب إذا ألحفت في تساؤلي -: أتفقهون يا كهنة الصوفية دلائل تلك الرموز ، أم لا تفقهونها ؟ فإن تكن الأولى ، فأبينوا لأتباعكم ؛ لتطمئن قلوبهم بالمعرفة ، ولنزداد في نقدكم إنصافًا ، وإن تكن الأخرى ، فإنها دين الببغاء تردد ما لا تعي .

* * *

« الذوق »
وسيلة المعرفة عند الصوفية

لما جعلت الصوفية « الذوق » هو وسيلة المعرفة ، دون الشرع والعقل ، قصرت رحمة الله على فئة قليلة في عباده ، وصيَّرت الإنسان كمن يمشي في ضوء الشمس وهو مغمض عينيه ، فلا يستفيد من ضوئها ، أو كمن يحاول أن يبصر في الظلام فلا يستفيد من عينيه .

وبذلك اختلفت طرائقهم وأفكارهم ، وصارت مصادر المعرفة عند الصوفية مختلفة ومتباينة ؛ لأن كل صوفي يتحدث عنها من واقع تجربته الخاصة .

ومن هذا المنطلق كتب الشيخ عبد الرحمن الوكيل – رحمه الله – في كتابه « هذه هي الصوفية » عن مفهوم الذوق عند الصوفية ، يقول : إن الصوفية تعتقد أن الذوق الفردي لا الشرع ، ولا العقل هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها لمعرفة الله وصفاته ، وما يجب له ، فهو – أي الذوق – الذي يُقَوِّم حقائق الأشياء ويحكم عليها بالخَيْرِيَّة أو الشَّرِّية ، بالحُسْنِ والقُبْحِ ، بأنها حق أو باطل ، فلا جَرَمَ أن تدين

الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة ، ولا عجب أن ترى النِّحلَةَ منها تخضع لصنم يكفر به سواها من النِّحل الصوفية ، لا عجب في ذلك كله ما دامت تجعل « الذوق »[١٢] الفردي حاكمًا وقيمًا على المسميات وأسمائها[١٣]... فيصنع للشيء معناه مرة ثم ينسخه بنقيضه مرة أخرى ، هذه الحِدَّة في تَوَتُّر التناقض صِبْغَةَ الصوفية دائمًا في منطقها المخبول ، ولقد ضرَبت الصوفيين أهواءُ أحبارهم بالحيرة والفُرقَةِ ، فحالُوا طَرَائِق قِدَدًا تُؤَلِّهُ كل طريقة منها ما ارتضاه شيخها له ، وتَعْبُدُه بما يفتريه هواه من خرافات ..

وبذلك صاروا شيعًا متطاحنة ، ومشيخات متنابذة ، وخير دليل على ذلك ما جاء على لسان رويم البغدادي حيث يقول : « لا يزال الصوفية بخير ما تَنَافَرُوا ، فإن اصطلحوا هلكوا » .

وعن تعريف كلمة الذَّوْق عند الصوفية ، يذكر الشيخ الوكيل – رحمه الله – جانبًا من التعريفات التي قالوها :

١– يعرف القيصري الذوق بقوله[١٤]: « ما يجده العالم على

(١٢) كتاب « هذه هي الصوفية » تأليف الشيخ عبد الرحمن الوكيل (ص٣٣) .

(١٣) ص١٨١ طبقات الصوفية للسلمي .

(١٤) كتاب هذه هي الصوفية (ص١٣٧) .

سبيل الوجدان والكشف ، لا البرهان والكسب ، ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد » . (ص ١٩٣ «مطلع خصوص الكلم» .

٢- أو هو : « أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث في التجلي البرقي » . (ص١٠١ جامع الأصول للكمشخانلي) .

٣- ويقول ابن عربي : « اعلم أن العلوم الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة مع كونها ترجع إلى عين واحدة[١٥] » . (ص ١٠٧ فصوص الحكم) .

وفي مجال إبراز مدى اعتقاد الصوفية في أن « الذوق » هو وسيلة المعرفة لديهم نجد الشيخ الوكيل يقول[١٦]: « كل صوفي يؤمن بأن الذوق وحده وسيلة المعرفة ، أما العقل عندهم فهو طاغوت أخرق ، وأما الشرع فمادية تَنْشِبُ مخالبها في الصخر دون أن ترمق السماء بنظرة واحدة ، وهو نوع من عبادة التاريخ الميت ، ولهذا تتباين عندهم قِيمُ الأشياء تبعًا لتباين الذوق !!

---

(١٥) ويعني بالعين الواحدة : الذات الإلهية !!

(١٦) كتاب هذه هي الصوفية : عبد الرحمن الوكيل (ص١٣٣، ١٣٤) .

وقد يرى الصوفي الباطل، فيما يرى غيره فيه حق، ولا يضيرهم أن يتوتر التناقض بين ما يؤمن به صوفي، ويكفر به آخر غيره، فكلاهما في الدين الصوفي على حق.

ولعل هذا سر فريتهم: «من اعترض انطرد»؛ إذ ربما حكمت بالشرع أو العقل على شيء ما بأنه باطل وهو في «ذوق» شيخك حق، فتعرض نفسك للطرد من حظيرته.

– وعلى هذا يحمل الشيوخ الدراويش، ويستعبدونهم، فما يفعل الشيخ من شيء إلا ويُوحي إلى درويشه أنه فعله عن أمر إلهي، ألا ترى الجنيد حين سُئِل: أيزني العارف؟ أجاب بقوله: «نعم، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا».

حقٌّ لوَّنه بباطل ذلك الجنيد. «زانٍ ويسميه عارفًا»[17] أي: مؤمنًا قد بلغ ذروة الإيمان؛ لأنه رأى القضاء في لوح الغيب فنفذه.

---

(١٧) التسمية بالعارف بدعة صوفية، تخفي وراءها كيدًا خفيًا للشريعة؛ إذ الغاية عندهم المعرفة وحدها لا العبادة، **معرفة أن الحق عين الخلق**، أما الغاية الحقة لكل مسلم، فهي الإيمان الصحيح مع التوحيد الخالص، مع التقوى، وكم من عارف صوفي دينه أساطير (ص١٨٦) تعليق (٢) كتاب مصرع التصوف.

وهنا نتذكر قول الدباغ : « إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي ، وهو ليس بعاص ، وإنما روحه حجبت ذاته ، فَظَهرت في صورتها ، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية »(١٨).

ثم يُثَنيّ ويقول : « يتصور في طور الولاية أن يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر ، وهو ليس يشرب معهم ، فيظنونه أنه شارب الخمر ، وإنما تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت »(١٩).

وتنكر الصوفية على العقل أنه وسيلة إلى المعرفة ، ويرهقها حنقًا منه أن يحكم بالمغايرة بين الضدين أو بين النقيضين ، وتنكر على الشرع تفرقته بين الإيمان والكفر أو بين الخير والشر ، إذ لا تؤمن بغير « الذوق » سماء وحي ، وقدس إلهام . ومن هذا كان اصطلاحهم المشهور : « من ذاق عرف » .

أي من جعل « الذوق » وحده الوسيلة إلى المعرفة كان حقًّا من العارفين بكنه الحقائق الربانية ، بمعنى أن من استمد معرفته عن طريق الذوق كان هو العارف المكمل ، أما من يستمد معرفته من الدين فهو

---

(١٨) الإبريز للدباغ (٢٣/٢) .

(١٩) الإبريز للدباغ (ص٤١) .

من أهل الظاهر المحجوبين عن إدراك كنه الحقيقة الإلهية الكبرى .

أو بمعنى أوضح : عن إدراك حقيقة الألوهية التي يقدم وجودها عندهم وجودات العالم الظاهرة ، وقد شطح بهم الذوق الأسطوري إلى اعتناق خرافة : « وحدة الوجود » ، وبالتالي إلى اعتناق خرافة « وحدة الأديان » بالمعنى الصوفي ، فعن إيمانهم بوحدة الوجود نتج إيمانهم بوحدة الأديان[٢٠].

* * *

(٢٠) مجلة الهدي النبوي عدد ٨ لسنة ١٣٨٠ هـ مقال عن وحدة الأديان عند الصوفية بقلم عبد الرحمن الوكيل .

الجيلي(٢١) وكتابه « الإنسان الكامل »

يبقى الآن أن أقف على ما كتبه الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحِمه اللّهُ عن ما جاء على لسان الجيلي في كتابه الإنسان الكامل، وقد كتبه في « مجلة الهدي النبوي » العدد الأول سنة ١٣٨١هـ تحت عنوان: « زندقة الجيلي ». وقد بين فيه رأي الجيلي عن:

١- اللّه وصفاته وأسماؤه.

٢- محمد وحقيقته.

٣- إبليس وأصله ومصيره.

٤- الولي وسلطانه.

---

(٢١) هو عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، عاش في القرن الثامن الهجري، وهو من كبار الصوفية الذين نهجوا نهج ابن عربي، وحافظوا على تراثه، وأهم كتبه كتاب « الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل »، وغايته منه إثبات أن محمدًا هو الإنسان الكامل، وأن الإنسان الكامل هو اللّه، وقد تكلمت عن الجيلي في كتابي « هذه هي الصوفية »، ولكن هذه النصوص التي نذكرها اليوم ننشرها لأول مرة عن كتاب « الإنسان الكامل » طبعة المطبعة العامرة سنة ١٢٩٣هـ.

٥- التوحيد .

٦- وحدة الأديان .

٧- ألوان من التفسير الصوفي .

دعاني إلى كتابة هذه السطور ما نشرته مجلة « آخر ساعة » في عددها الصادر بتاريخ ٢٤/٥/١٩٦١م ، فقد نشرت حديثًا صوفيًّا مطولًا عنونت له بعنوان يستثير الدهشة ، لما فيه من الغلو في الافتراء على الحقيقة . وعنوان آخر يدفع الصوفية بما هي مدمغة به من قبل ، وإن كانت تحاول عند المسلمين أن تستره بشف رقيق من فتنة الرياء . أما العنوان الأول فهو : « التصوف يخدم العلم » ، وأعتقد أن العنوان الصحيح الذي كان يجب أن يوضع ، والذي يعبر تعبيرًا كاملًا عن حقيقة التصوف : « التصوف يخدم الخرافة ، ويمجد الوثنية » ، فما وجدنا للصوفية في سلفها وخلفها علمًا ولا أثارة من علم ، وأنا لا أفتات عليها فيما أقول ، اللهم إلا إن سمي قولك عن الباطل إنه باطل افتياتًا عليه . وليدلني الصوفية محتشدين بعضهم لبعض ظهيرًا عن صوفي واحد ، أو كتاب تصوف مجد العلم ، أو دعا إليه ، وإنهم لن يجدوا ؛ لأمر بين واضح ، هو أن الصوفية نفسها تحارب العقل والفكر

والعلم ، إذ يكشف العقل عن ضلالتها ، ويحكم بمروقها عن كل القيم العقلية ، وهي تعترف في جرأة سليطة أنها ليست نتاجًا للعقل ، ولا ثمرة من ثمرات الفكر ، أو الوحي الإلهي ، وإنما هي « ذوق ووجد »[٢٢] ، ويا للعقل من الأذواق ، ويا للدين من المواجيد !

أروني حقيقة علمية في كتب « ابن عربي » كلها ، وهو شيخ الصوفية الأكبر !

لا تلوذوا بالشطحات العرابيد ، ولا بتهويمات الخيالات الجوامح ، فتزعموا أن علماء الفضاء في روسيا وأمريكا ما هم إلا صور لابن عربي في أسماء مختلفة ، فلقد زعمتم مثل هذا من قبل ، ووجدتم من يصدقكم ، ولكن سلطان الحقيقة اليوم ذو حول وطول ، فلن يأذن لمثل عناكب هذه الخرافة أن تصيد بخيوطها العقول !

أما العنوان الصوفي الآخر ، فهو « جاجارين متصوف كبير » ، و« جاجارين » هو الفتى الروسي الذي انطلق في الفضاء ثم عاد ، وهو

(٢٢) يقول الجيلي في « الإنسان الكامل » عن أساطير التصوف : « هذا لا يعرف بطريق العقل ، ولا يدرك بالفكر » إلخ (ج١ ص٢٧) .

* للشيخ عبد الرحمن الوكيل مقالان تحت عنوان : « الشيوعية تعانق الصوفية » بمجلة الهدي النبوي .

شيوعي ! فهل نفهم من هذا أن الشيوعية صوفية !!

لقد قلنا من قبل : إن الصوفية ردغة ضلالات ، وحمأة زندقات ، وهي في دعواها أنها تمثل الروحانية إنما تمثل في الحقيقة المادية الصماء ، فهي لا تؤمن بغير هذا الوجود المحسوس الملموس الواقعي ربًا ، ولا تصدق بأن فوق العرش إلهًا ، ولا تؤمن بأن للخلق خلاقًا ، فالخلاق هو نفسه هذا الخلق الذي نحسه ! والشيوعية هي هذا الإلحاد الذي تفتريه الصوفية ، كنا نقول هذا ، فكان ينبري لنا من الصوفية من يحاول التقصي عن الحقيقة ، فيرغي ويُزبد ويصخب ، ويتوعد ، ويهدد ، حتى جاء حديث « آخر ساعة » في صراحة يؤيدنا في كل حرف قلناه ، فلتعرف الصوفية أنها شيوعية ، وأنها صهيونية ، وأنها صليبية ، وأنها مجوسية ، وأنها برهمية ، وأنها بوذية ثنوية ، فقد اعترف بما هو أكثر من هذا أئمتها وسادتها ، ولا سيما « عبد الكريم الجيلي » ، وستأتي النصوص دامغة !

ولقد استوقف نظرنا في هذا الحديث قول صاحبه « الكبير » : « والعجيب أن التصوف كان دائمًا في خدمة العلم والعلماء ، ولقد كانت الخطوات الصوفية العليا هي الباب الذي نفذ منه العلماء إلى

مجال التجربة والتطبيق لأنها فتحت أمامهم آفاقًا ارتادوها وأدركوا ما فيها من أسرار ، ومن هنا نعلم أن التصوف يساهم بنصيبه وبطريقته في بناء العلم .

لو أنك عنيت بتتبع التطورات العلمية وحاولت أن تربط بينها وبين ما يملأ كتاب « الإنسان الكامل » لمؤلفه عبد الكريم الجيلي لأدركت إلى أي حد مهد التصوف للعلم وسائل البحث والاكتشاف » .

وسألت[٢٣] : هل التصوف درجات ؟

قال : ما دام التصوف حالة نفسية فلابد أن يختلف قوة وضعفًا ، وذلك بحكم خضوعه للمقاييس العادية ومؤثرات ذلك الوجود . فمثلًا ذلك الطيار الذي يقود طائرته النفاثة وهي تسير بسرعة الصوت . . . إنه في هذه الحالة يكون على درجة كبرى من الروح المعنوية العالية وهنا يفتي في نفسه ويصبح جزءًا من الكون كله . . . هذا الشعور الذي يتملكه أعلى مراحل الصوفية .

وأشار إلى جاجارين فقال : لا شك أن رجل الفضاء الروسي

---

(٢٣) السائل هو محرر مجلة « آخر ساعة » .

جاجارين . . . قد عانى من هذه التجربة على أقصى درجاتها في أثناء رحلته إلى الفضاء .

فعلًا جاجارين كان بلا شك يعاني نوعًا من الصوفية ، وهذا يعني أن الصوفية ليست مقصورة على دين معين ؛ لأن التصوف - كما قلت - ظاهرة نفسية ، ويجب أن نعترف بأن التصوف الإسلامي يعتبر أرقى أنواع التصوف ؛ لأن الإسلام يربط العبد مباشرة بربه ، وفي هذا يقول اللَّه تبارك : ﴿فَأَيْنَمَا تكونوا[٢٤] فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ . . . إن الإنسان في الإسلام لا يحتاج إلى طقوس حتى يواجه ربه . والرسول الأعظم هو الذي يقول : « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » . وهو بذلك يعتبر قمة من قمم الإنسان في مجال المعرفة الروحية . (انتهى حديث آخر ساعة) .

ولن نناقش الحديث إلا في قضيتين : **أولاهما** : أن التصوف الإسلامي يعتبر أرقى أنواع التصوف ؛ لأن الإسلام يربط العبد مباشرة بربه .

أقول : ترى هل التصوف هو الإسلام حتى يحمل عليه ما

(٢٤) سورة البقرة ، آية : ١١٥، والصواب : ﴿تُوَلُّوا﴾ .

يحمل على الإسلام ؟ أو يحكم عليه بما يحكم به على الإسلام ؟

الإسلام يربط العبد مباشرة بربه .

هذه حقيقة هي أُم الحقائق العليا في دين الإسلام ، وقد دعا إليها الرسل جميعًا ، وهم قد أُرسلوا جميعًا بالإسلام .

ولكنها في التصوف أسطورة يهزأ بها ، ويكفر بها شيوخ التصوف وأحباره وكهانه ، وستأتي النصوص قاصمة قاصفة .

ولقد أغنانا الحديث نفسه ، فقرر أن التصوف ظاهرة نفسية ! !

وأين هذا من وحي اللّه ؟

أما القضية الأخرى ؛ فهي تلك التي مَجَّد فيها الحديث كتاب « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي ؛ حتى جعله من الكتب التي مهدت للتطورات العلمية الحديثة .

ولقد عدت إلى كتاب « الإنسان الكامل » أتجرعه مرة أخرى أو أنقب ، وأجِدُ في التنقيب علِّي أجد شعاعة حيرى من هدى ، أو لمحة ولُهَى من نور ، فلم أجد في كل صفحاته إلا ما سأنقل إليك بعضه بنص ألفاظه ، ولعلنا بعد تدبر هذه النصوص ابتغاء الوصول إلى الحقيقة نلقي أزمتنا للحق ، ونؤمن بأن الصوفية في « الإنسان الكامل » للجيلي

هي الصوفية في « الفتوحات والفصوص » لابن عربي ، هي الصوفية في « تائية » ابن الفارض ، هي الصوفية عند « فيلون » اليهودي ، و« أفلوطين » المسيحي ، هي الصوفية في « الغنوصية » و« الباطنية » ، فمنذ قام الإسلام قام التصوف ليحاربه ، ولعل في قصة الشيطان مع آدم ما يجعلنا نفهم هذه الحقيقة ، ولهذا تجد الصوفية حفية « بإبليس » تمجده ، وتضع عليه الطيالس والأكاليل ، وستأتي النصوص قاصفة راجفة !

وإليك طرفًا من عقيدة « الجيلي » أو من عقيدة الصوفية :

الله وصفاته : ليس القارئ بحاجة إلى أن أذكره بالله وصفاته وأسمائه كما هي في القرآن والسنة ، غير أني أحب أن أذكره بحقيقة قد يراها هو بدهية من بدهيات الإيمان ، ولكن هذه الحقيقة ، لا يكفر التصوف بشيء كما يكفر بها ، هذه الحقيقة هي أن اللّٰه هو ربنا ، ونحن عبيده ، وأن اللّٰه هو خالقنا ، ونحن خلقه ، لا تُشْبه ذاتُ أحد ذاته سبحانه ، ولا تماثل صفات أو أسماء في الحقيقة صفاته أو أسماءه ، وأنه جل شأنه ليس كمثله شيء ، وأن الخلق غير الخالق ذاتًا وحقيقة وصفة واسمًا ! حقائق يتفجر منها الضوء ويسطع ، ويؤمن

بها من يؤمن بأنه إنسان ! أما من يؤمن بأنه جماد ، أو بهيمة ، فلا حديث لنا معه . هذه الحقائق الناصعة الساطعة الصادعة لا تجد السبيل إلى قلب صوفي ! فالصوفية **تسوي تسوية تامة بين الخلق والخالق . وبين القديم والمحدث . وبين الرب والعبد** . وإليك هذه النصوص التي لم ننشرها في كتاب أو مقال لنا من قبل ، وهي من كتاب « الإنسان الكامل » الذي أشار إليه الحديث المنشور في « آخر ساعة » . وأحمد اللّه أن اعترف به ، فالبدعة الصوفية اليوم هي إنكار مثل هذه الكتب أمام الناس .

قال الكتاب عن اللّه سبحانه : « هو الحامد والمحمود ، حقيقة الوجود المطلق ، عين هوية المسمى بالخلق والحق ، مَحْتِدُ العالم الظاهر على صورة آدم ، معنى لفظ الكائنات ، روح صور المخترعات ، ذات حقيقة الجواهر والأعراض ، صورة المعاني والأغراض ، هوية للعدم والوجود ، إنّيّةُ عين كل والد ومولود ، استقامت بقيُّومية أحديته قدود الذات . فنطقت ألسن الصوامت أنه عينها ، وشهدت عين المحاسن والمساوئ أنه زينها ، توحّد في التعداد . . . بقاؤه هوية بطون العدم وظهور الوجود . ألوهيته الجمع بين ذل العابد ، وعز المعبود ، ظهر في

كل ذات بكل خُلُق واتصف بكل معنى في كل خَلْق وحق ، وجمع بذاته شمل الأضداد ، وشمل بواحديته جمع الأعداد . . . أحديته عين الكثرة المتنوعة وِتْرِيَّتَهُ عين الازدواجات المتشفعة » .[٢٥] .

هل يأذن حتى الأدب أن نقول عن اللّه : إنه حقيقة العدم والوجود ؟ وأنه حقيقة كل والد ومولود ، والله يقول : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ؟ !

لا أقول : هل يأذن الدين ، أو القرآن ؛ لأن الصوفية لا تؤمن بالدين ولا بقرآن هذا الدين !

التشبيه والتنزيه : يقول اللّه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ، ويقول : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ . ولكن الجيلي يقول : « نزّه إن شئت ، وشبّه إن شئت ، فعلى كل حال أنت غارق في تجلياته »[٢٦] . أي قل : إنه غير خلقه . وقل : إنه عين خلقه ، فأنت على الحالين صادق . فهو غيرهم باعتبار الظاهر ، وهو عينهم باعتبار الباطن .

---

(٢٥) « الإنسان الكامل » (ج١ ص٢) .
(٢٦) (ج١ ص٣٩) .

الوحدة التامة بين العبد والرب :

يقول الجيلي :

حبتني فكانت فِيَّ عني نيابة
أجل عوضا ، بل عين ما أنا واقع
فكنت أنا هي ، وهي كانت أنا ، وما
لها في وجود مفرد من ينازع
بقيت بها فيها ، ولا تاء بيننا
وحالي بها ماض كذا ومضارع
فأوصافها وصفي ، وذاتي ذاتها
وأخلاقها لي في الجمال مطالع
واسمي حقا اسمها ، واسم ذاتها
لِيَ اسم ، ولي تلك النعوت توابع[٢٧]

الحقيقة الإلهية هي « الجيلي » ، والجيلي هو الحقيقة الإلهية ، ذاتًا وصفة واسمًا وفعلًا ! والمعاني مسروقة من تائية ابن الفارض . وقوله : « ولا تاء بيننا » يعني رفعت تاء المخاطبة الكائنة في قول كل منهما للآخر : أنتَ ، إذا صارا واحدًا يقول كل منهما لصاحبه : يا أنا !

---

(٢٧) (ج١ ص٤٣) .

الله عين الأشياء: وليس الإنسان وحده هو الذي تحققت فيه الوحدة التامة بين الخلق والخالق، بل كل شيء عين الله. وإليك ما يقوله:

- «إن الحق سبحانه وتعالى عين الأشياء، وتسميتها بالإلهية تسمية حقيقة، لا كما يزعم المقلد من أهل الحجاب أنها تسمية مجازية»[٢٨].

- «كل موجود يوجد فيه ذات الله سبحانه وتعالى بحكم الاستيلاء، فذلك الموجود هو العرش لذلك الوجه الظاهر فيه من ذات الحق سبحانه»[٢٩].

الثالوث:

يقول الجيلي: «إن الحق تعالى هو حقيقة عيسى وحقيقة أمه، وحقيقة روح القدس، بل حقيقة كل شيء»[٣٠].

والله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾،

---

(٢٨) (ج١ ص٦٩).
(٢٩) (ج١ ص٣٣).
(٣٠) (ج١ ص٨٦).

فليقل المسلم : مَن نصدق ؟ !

الله هو النفس :

يقول الجيلي : «اعلم أن النفس تسمى في الاصطلاح على خمسة أضرب : نفس حيوانية ، ونفس أمّارة ، ونفس ملهمة ، ونفس لوّامة ، ونفس مطمئنة ، وكلها أسماء الروح ، إذ ليس حقيقة النفس إلا الروح ، وليس حقيقة الروح إلا الحق فافهم »[٣١] .

الله عبد ورب :

وإذا كان الوجود كله **هو عين الله** ، فمن الطبيعي أن تزعم الصوفية أن الله هو الرب وهو العبد ، وإليك النصوص :

ذات لها في نفسها وجهان
للسفل وجه والعلا للثاني
ولكل وجه في العبارة والأدا
ذات وأوصاف وفعل بيان
إن قلت : واحدة صدقت ، وإن تقل
اثنان . حقًّا إنه اثنان

(٣١) (ج٢ ص٤٧) .

أو قلت: لا، بل إنه لمثلث
فصدقت ذاك حقيقة الإنسان
انظر إلى أحديَّةِ هي ذاته
قل واحد أحد فريد الشان
ولئن ترى الذاتين قلت لكونه
عبدًا وربًا إنه اثنان[٣٢].

الله يجمع المتناقضات :

يقول الجيلي : « لهذا الجوهر عرضان ؛ الأول : الأزل . والثاني الأبد .

وله وصفان ؛ الوصف الأول : **الحق** . والوصف الثاني : **الخلق** . وله نعتان ؛ الأول : **القدم** ، والنعت الثاني : **الحدوث** . وله اسمان ؛ الاسم الأول : الرب . والاسم الثاني : **العبد** »[٣٣] .

❊ ❊ ❊

(٣٢) (ج١ ص٩).
(٣٣) (ج١ ص١٧) .

محمدًا أو الحقيقة المحمدية

يعتقد الصوفية أن الحقيقة الإلهية كانت وجودًا مطلقًا ، أو عماءً مجهولًا ، ثم أرادت الذات أن تظهر ، وأن ترى نفسها ، فتعينت في الحقيقة المحمدية أو محمد . وإليك النصوص من « الإنسان الكامل » للجيلي . يقول عن الوحدة التامة بين محمد والله :

« رداؤه المعلّم ، طرازه الأفخم ، وسابقه الأقدم ، وصراطه الأقوم ، مجلى مرآة الذات ، منتهى الأسماء والصفات ، مهبط أنوار الجبروت ، منزل أسرار الملكوت ، مجمع حقائق اللاهوت ، منبع رقائق الناسوت ، النافخ بروح الجبرلة ، والمانح بسر الميكلة ، والسابح بقهر **العزلة** . والجانح بجمع السرفلة ، عرش رحمانية الذات ، كرسي الأسماء والصفات ، منتهى السدرات ، رفرف سرير الأسرات ، هيولي الهباء والطبيعيات ، فلك أطلس الألوهيات ، منطقة بروج أوج الربوبيات »[٣٤] . والجبرلة والميكلة والعزرلة والسرفلة : يعني أن محمدًا فيه روح جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل . وهيولي : أي مادة الوجود وأصله .

---

(٣٤) (ج١ ص٣) .

محمد والد جبريل وأصل العالم

يقول الجيلي : « إن العقل الأول المنسوب إلى محمد خلق اللّه جبريل عليه السلام منه في الأزل ، فكان محمد أبًا لجبريل **وأصلًا لجميع العالم** »[٣٥] .

محمد هو كل شيء :

ليس الوجود بأسره إن حققوا
إلا حبابًا طَفَحْتُه دنانه

الكل فيه ، ومنه كان ، وعنده
تفنى الدهور ، ولم تزل أزمانه

فالخلق تحت سما علاه كخردل
والأمر يبرمه هناك لسانه

والكون أجمعه لديه كخاتم
في إصبع منه أجَلْ أكوانه

والملك والملكوت في تياره
كالقطر بل من فوق ذاك مكانه

(٣٥) (ج٢ ص٢٠) .

وتطيعه الأملاك من فوق السما
والـلوح يُنفذ ما قضاه بنانه
هو در بحر ألوهة وخضمها
هو سيف أرض عبودة ومعانه
هو هاؤه هو واوه هو باؤه
هو سينه والعين بل إنسانه
هو كافه، هو نونه هو طاؤه
هو نوره هو ناره هو رانه[٣٦]

خلاصة كلامه :

إن محمدًا هو اللَّه . وتعالى اللَّه عما يلحد به الجيلي !

محمد يتشكل بصور مختلفة أزلًا وأبدًا :

يقول اللَّه سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾[٣٧] . ويقول : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ .

---

(٣٦) (ج٢ ص٤٩) .

(٣٧) انظر تفصيل ذلك في كتاب « سيد الخلق بشر » من تراث الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، إعداد : فتحي عثمان .

أفي هذا النور والحق ريبة أو مظنة ريبة ؟ !

ولكن اسمعوا ما يقول الجيلي :

يقول : « لفظ الإنسان الكامل حيث وقع في مؤلفاته إنما أريد به محمدًا ﷺ »(٣٨) .

ثم يقول في « الإنسان الكامل » (ج٢ ص٥) : « اعلم أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ، ثم له تنوع في ملابس ، ويظهر في كنائس ، فيسمى به باعتبار لباس ، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر ، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد ، وكنيته أبو القاسم . ثم له باعتبار ملابس أخرى أسامٍ ، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان ، فقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي ، ولست أعلم أنه النبي ﷺ ، وسر هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة ، ألا تراه ﷺ لما ظهر في صورة الشبلي قال الشبلي لتلميذه : أشهد أنني رسول الله ، وكان التلميذ صاحب كشف ، فعرفه ، فقال : أشهد

(٣٨) (ج٢ ص٤٨) .

أنك رسول اللَّه ، وهذا أمر غير منكور » .

ويقول في موضع آخر : « يقابل الهوية بالهوية والإنِّيَّة بالإنية[٣٩] ، والذات بالذات ، والكل بالكل ، والشمول بالشمول ، والخصوص بالخصوص ، وله مقابلة أخرى : يقابل الحق بحقائقه الذاتية . ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك »[٤٠] .

فهل بين هذه الأسطورة الملعونة وبين خاتم المرسلين نسب ؟ ! ما يقول نعم رجل في قلبه ذرة من إيمان ، ولكن يقولها صوفي !

إبليس ، وأصله ، ومصيره :

يعشق التصوف إبليس عشقًا لا يستطيع أن يخفيه ، فيظهر على ألسنة أئمته ثناءً حفيًا بهذا الرجيم الملعون . وإليك رأي الجيلي في إبليس .

مِمَ خُلق إبليس ؟

كلنا يعرف من القرآن أنه خلق من نار ، وكلنا يعرف أن محمدًا

---

(٣٩) الهوية : باطن الذات ، والإنية تحقق وجودها .

(٤٠) (ج٢ ص٥١ وما بعدها) .

ﷺ خلق من نطفة ، وأنه من سلالة آدم ، وأن آدم من طين . حقائق قرآنية لا يماري أو يجادل فيها غير الصوفية . فهذا الجيلي يقول : « خلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد ﷺ »[٤١] .

أين من يتهموننا بأننا نكره محمدًا ﷺ ، لأننا نقول عنه ما قال القرآن ، ونؤمن به كما طلب القرآن ؟ !

أين سدنة التصوف وأذنابه وذباباته التي تطن دائمًا ، فتحسب أنها تغطي صيحة الحق المدوية .

هذا الكفر الملعون الدنس الحقير يهرف به صوفي ، فتقولون عنه : قطب كبير !

وكلمة حق نقولها نقلًا عن القرآن ، وهو أن محمدًا ﷺ بشر مثلنا ولكنه خاتم النبيين ، فتبهتوننا بأننا نكرهه ! !

مصيره :

كلنا يعرف مصير إبليس ، فقد ذكره القرآن ، ولكن اسمع ما يقوله الجيلي : « إذا انقضى يوم الدين ، فلا لعنة عليه لارتفاع حكم

---

(٤١) (ج٢ ص٤١) .

الظلمة الطبيعية في يوم الدين . . . فلا يلعن إبليس أي لا يطرد عن الحضرة إلا قبل يوم الدين لأجل ما يقتضيه أصله ، وهي الموانع الطبيعية التي تمنع الروح عن التحقق بالحقائق الإلهية ، وأما بعد ذلك ، فإن الطبائع تكون لها من جملة الكمالات ، فلا لعنة ، بل قرب محض ، فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند اللّه من القرب الإلهي »[٤٢] .

أيقول هذا مؤمن ؟ إذا كان مصير إبليس هو القرب المحض من اللّه ، فما بالك بمن هم دونه شرًا وفسادًا فليفسق من شاء ، وليكفر من شاء وليغْدُ من شاء على قيم الدين ، ومقدسات القيم عدوانًا باغيًا ، فما ثم إلا قرب محض من الإله !

إن الجاهلية في عتو جحودها لم تستطع أن تقولها بل الشيطان نفسه في عناد كفره الغليظ ، وفسوقه المتمرد لم يقلها ، ولكن قالها صوفي كبير !

أدب إبليس وعلمه :

وفي فيض الحنان العطوف من الصوفية على شيخها إبليس

(٤٢) (ج٢ ص٤٢) .

يهرف الجيلي بهذا الثناء العاطر على الملعون .

فيقول معقبًا على جوابه : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ ، « وهذا الجواب يدل على أن إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة ، وأعرفهم بالسؤال ، وما يقتضيه من الجواب »[٤٣] .

الولي وسلطانه :

يقول ربنا : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنكَبُوتِ﴾ . ويقول : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ، ولكن الصوفية تؤكد للناس أن الولي هو عين الله ، وأن البدوي ، أو الدسوقي ، أو الجيلي إنما هم صور تجسدت فيها الحقيقة الإلهية ، وإليك ما يقوله الجيلي : « إن العبد إذا ترقى من المرتبة الكونية إلى المرتبة القدسية ، وكشف له عنه ، علم أن ذات الله تعالى هي عين ذاته »[٤٤] .

---

(٤٣) (ج٢ ص٤١) .

(٤٤) (ج١ ص٤٤) .

الولي روح العالم وحياته :

ويقول عن أنواع الأولياء : « منهم من تجلى الحق له بالصفة الحياتية فكان هذا العبد حياة العالم بأجمعه ، يرى سريان حياته في الموجودات جميعها جسمها وروحها . . . ويشهد المعاني صورًا لها منه حياة قائمة بها ، فما ثم معنى كالأقوال والأعمال ، ولا ثم صورة لطيفة كانت كالأرواح ، أو كثيفة كانت كالأجسام إلا كان هذا العبد حياتها يشهد كيفية استمدادها منه » .

ويأبى الجيلي إلا أن يثبت أنه كان في هذا المشهد ، فيقول : « وكنت في هذا التجلي مدة من الزمان »(٤٥) .

علم الولي . . . علم اللّٰه سبحانه :

يقول الجيلي : « علم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد ، وعلم كل شيء كيف كان ، وكيف هو كائن ، وكيف يكون ، وعلم ما لم يكن ، ولو كان ما لم يكن ، كيف كان يكون ، كل ذلك علمًا أصليًا حكميًا كشفيًا ذوقيًا من ذاته

---

(٤٥) (ج١ ص٤٤ وما بعدها) .

لسريانه في المعلومات »[٤٦] .

وفي موضع آخر يقول : « ما ثم علم يرجع إلى الحق ، وما ثم علم يرجع إلى الخلق إلا وبصر هذا العبد واقع عليه ، فهو يبصر الموجودات كما هي عليه في غيب الغيب . ويسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة ، واختلاف اللغات ، وكان البعيد عنه كالقريب ، وهي الجمادات والنباتات . . . وفي هذا التجلي سمعت علم الرحمانية »[٤٧] .

وهكذا يأبى إلا أن يثبت لنفسه في كل فرية تختلقها زندقته أنه كان في هذا المقام الأسطوري !

صفات الولي صفات اللّه :

وليس للولي علم اللّه وحده ، بل له كل صفة من صفاته .

« إن سمعه سمع اللّه ، وبصره بصر اللّه ، وكلامه كلام اللّه ، وحياته حياة اللّه ، وعلمه علم اللّه ، وإرادته إرادة اللّه ، وقدرته قدرة

---

(٤٦) (ج١ ص٤٥) .

(٤٧) (ج١ ص٤٥) .

الله تعالى ، كل ذلك بطريق الأصالة »[٤٨] .

مشاهدات الولي وبرازخه :

واسمع للجيلي ، وناشدتك الله إلا ما حكمت حكم الحق الذي يطالبه منك الله . اسمع قوله عن مشاهدات الولي : « يشهد صدور الوجود أعلاه وأسفله منه ، ويرى متعددات أمر الوجود في ذاته . وللإنسان الكامل ثلاث برازخ . وبعدها المقام المسمى بالختام . البرزخ الأول : يسمى البداية ، وهو التحقيق بالأسماء والصفات . والبرزخ الثاني يسمى : التوسط ، وهو فلك الرقائق الإنسانية بالحقائق الرحمانية ، فإذا استوفى هذا المشهد علم سائر المكتمات ، واطلع على ما شاء من المغيبات ، والبرزخ الثالث هو معرفة التنوعات الحكمية في اختراع الأمور القدرية . لا يزال الإنسان تخرق له العادات بها في ملكوت القدرة حتى يصير خرق العوائد عادة في فلك الحكمة ، فحينئذ يؤذن بإبراز القدرة في ظاهر الأكوان »[٤٩] .

---

(٤٨) (ج١ ص١٩) .

(٤٩) (ج٢ ص٥٢) .

مقام الخلة :

هو أرقى مقامات العبودية ، ولكن الجيلي يفسره تفسيرًا يتلاءم مع زندقته الجاحدة . فيقول : « هو أن يتخلل العبد بالحق تعالى ، فيظهر في جميع أجزاء جسده آثار التخلل بأن تنفعل الأشياء له بلفظه : كن ، وأن يبرئ العلل والأمراض ، ويأتي بالمخترعات بيده ، وأن يكون لرجله المشي في الهواء ، وأن يقدر على التصور بكل صورة بتمام هيكله »(٥٠) .

إن الصوفية تزعم أن الولي يستطيع أن يأتي بالمخترعات بيده ، فهل تستطيع أن تمدنا في عصرنا الحاضر بواحد من هؤلاء ؟

وهل تستطيع أن تدلنا في التاريخ على واحد من هؤلاء ؟ إنها لن تستطيع ! فهل بعد ذلك من دليل على وضاعة الفشل ؟

التوحيد :

شهادة التوحيد عندنا : « لا إله إلا إلله » ، والرسول ﷺ يقول : « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا اللّه » . ومعناها واضح كل الوضوح ، فهي تثبت أن اللّه وحده الذي له الإلهية . وتنفي هذه

(٥٠) (ج٢ ص٩٧) .

الصفة عما سواه سبحانه . ولكن اسمع تفسير الجيلي لكلمة التوحيد .

« لا إله إلا الله » معناه : لا وجود لشيء إلا اللَّه ، ولفظ « إله » في قوله : « لا إله » يراد به تلك الأوثان التي يعبدونها ، سماها اللَّه تعالى « إلهًا » كما سموها ، موافقة لهم لسر وجوده في أعيانها ، فهي بوجوده آلهة حقًّا ، فكل معبود منها بظهور الحق في عينه إلهٌ ؛ لأنه تعالى عينها ، وهو اللَّه حيثما ظهر مستحق الألوهية . ثم أفرد الجميع في الاستثناء بقوله : إلا اللَّه . يعني : ليست تلك الآلهة إلا اللَّه . فلا تعبدوا إلا اللَّه على الإطلاق من غير تقييد بجهة ، فإنه كل الجهات ، فما في الوجود شيء إلا اللَّه تعالى ، فهو تعالى عين جميع الموجودات »[٥١] .

إن عبدة الأوثان أنفسهم لم يستطيعوا أن يقولوا عن أوثانهم إنها هي اللَّه بل قالوا عنها إنها شفعاء لهم عند اللَّه .

أما الجيلي وإخوانه ، فيأبون إلا أن يقولوا عن الأوثان إنها عين اللَّه ! وإلا أن يقولوا عن الأدناس والأرجاس والكلاب والخنازير إنها آلهة حقيقية عابدها ناج من النار ! ولِمَ لا ، وفي كل منها تتمثل

---

(٥١) (ج٢ ص٨٩) .

الحقيقة الإلهية ؟ ! فماذا يقول سدنة الصوفية ؟

وحدة الأديان :

زعم الجيلي أن اللَّه سبحانه هو عين كل شيء ، ثم استطرد زاعمًا أنه ما عبد قوم شيئًا إلا وكانوا عابدين لله حقيقة ! ولِمَ لا ، وكل شيء هو اللَّه سبحانه ، وإليك النصوص الدامغة ! !

يقول عن عبدة الحجارة والكواكب والطبائع :

« إنما أراد الحق أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر ، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة ، وأنهم ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو . فقال : لا إله إلا أنا . أي ما ثم ما يطلق عليه اسم الإله إلا وهو أنا ، فما في العالم من يعبد غيري »(٥٢) .

ثم عدد الملل المختلفة وهم : « الكفار ، والطبائعية ، والفلاسفة والثانوية ، والمجوس ، والدهرية ، والبراهمة ، واليهود ، والنصارى ، والمسلمون » . ثم صوب دين الجميع . فقال : « كل هذه الطوائف عابدون لله تعالى كما ينبغي ؛ لأنه خلقهم لنفسه لا لهم ، ثم إنه

---

(٥٢) (ص٦٩) .

سبحانه أظهر في هذه الملل حقائق أسمائه وصفاته فتجلى في جميعها بذاته ، فعبدته جميع الطوائف . فأما الكفار ، فإنهم عبدوه بالذات ؛ لأنه لما كان الحق سبحانه وتعالى حقيقة الوجود بأسره ، والكفار من جملة الوجود ، وهو حقيقتهم ، فكفروا أن يكون لهم رب ؛ لأنه تعالى حقيقتهم ، ولا رب له ، بل هو الرب المطلق ، فعبدوه من حيث ما تقتضيه ذواتهم التي هو عينها ، ثم من عبد الوثن ، فلسر وجوده سبحانه بكمال ، بلا حلول ولا مزج في كل فرد من أفراد ذرات الوجود ، فكان تعالى حقيقة تلك الأوثان التي يبعدونها فما عبدوا إلا الله »(٥٣) .

ثم يقول عمن عبدوا الكواكب : « لما كان الحق حقيقة ذلك الكوكب اقتضى أن يكون معبودًا لذاته ، فعبدوه لهذا السر » .

ثم يستطرد فيقول : « فما في الوجود حيوان إلا وهو يعبد اللّٰه تعالى إما على التقييد بمظهر ومحدث ، وإما على الإطلاق ، فمن عبده على الإطلاق ، فهو موحد ، ومن عبده على التقييد فهو مشرك ، وكلهم عباد اللّٰه على الحقيقة لأجل وجود الحق فيها ، فإن الحق تعالى

---

(٥٣) (ج٢ ص٨٢) .

من حيث ذاته يقتضي ألا يظهر في شيء إلا ويعبد ذلك الشيء ، وقد ظهر في ذرات الوجود »(٥٤) .

ويقول في « الثنوية والمجوس » : « فالثنوية عبدوه من حيث هذه اللطيفة الإلهية مما يقتضيه في نفسه سبحانه ، فهو المسمى بالحق ، وهو المسمى بالخلق ، فهو النور والظلمة ، وأما المجوس : فإنهم عبدوه من حيث الأحدية . فلهذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها ذاته تعالى »(٥٥) .

وهذا هو هدف الصوفية ! هو القضاء على الإسلام .

أو القضاء على مقومات المسلمين ، فقوة المسلمين في دينهم القوي .

وأعجب العجب من كيد هذه الشمطاء الخنوث الصوفية أنها تخادع حتى كبار المثقفين عن دينهم حتى يظنوا أنها روحانية الدين السامية ، وهي عدوه الألد الخصام !

ألوان من التفسير :

تؤمن الصوفية أن في كتاب اللّه سبحانه القضاء على باطلها الملون فماذا تفعل ؟ راحت تبتدع أن لكل ظاهر باطنًا ، وأن لآيات القرآن معاني أخرى فهمهامحمد وكتمها عن الناس ، ولم يقلها إلا

---

(٥٤) (ج٢ ص٨٣) .

(٥٥) (ص٨٣ وما بعدها ج٢) .

لفئة قليلة من أصحابه ، وقد أخذ اللَّه عليه العهد والميثاق على كتمانها ليلة الإسراء كما ذكر الجيلي في كتابه ، وإليك نمطًا من التفسير ، أو نمطًا من الجحود بمعاني القرآن والحديث .

﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ قدم التنزيه في هذا على التشبيه : ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ يعني : كيف أنسب المغايرة بيني وبينك ، فأقول لهم : اعبدوني من دون اللَّه ، وأنت عين حقيقتي وذاتي ، وأنا عين حقيقتك وذاتك ، فلا مغايرة بيني وبينك »[٥٦] .

فهل يقولها مؤمن؟ إنما يقولها الصوفية ! وإليك تفسيرًا لأول سورة البقرة :

﴿ الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ، أشار بذلك إلى حقيقة ألف لام ميم ، وذلك من طريق الإجمال ، إشارة إلى الذات والأسماء والصفات ، ﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ ﴾ ، والكتاب هو الإنسان الكامل ، فألف لام ميم بما أشار إليه هو حقيقة الإنسان لا ريب فيه ، هدى للمتقين ، الذين هم وقاية عين الحق ، والحق وقاية عنهم ، فإن له دعوة الحق ، فإن دعوته فقد

---

(٥٦) (ج١ ص٨٠) .

كنيت به عنهم ، وإن دعوتهم فقد كنيت بهم عنه . الذين يؤمنون بالغيب ، والغيب هو اللّٰه لأنه غيبهم ، آمنوا به أنه هويَّتهم ، وأنهم عينه ، ومما رزقناهم ينفقون ، يعني : يتصرفون في الوجود من ثمرة ما أنتجته هذا الأحدية الإلهية في ذواتهم »(٥٧) .

تفسير حديث النزول :

يقول الجيلي : « الحديث يدل بإشارته إلى ظهور الحق سبحانه وتعالى ، في كل ذرة من ذرات الوجود ، فالمراد بالليلة هي الظلمة الخلقية ، والمراد بسماء الدنيا ظاهر وجود الخلق ، وبالثلث الأخير حقيقته ، والمراد بسماء الدنيا ظاهر جسم الولي ، والثلث الأخير المعرفة الذوقية الإلهية السارية في وجود العبد »(٥٨) .

كلمة خاتمة :

نحن في عهد ثورة تتسم بالقوة والإيمان الرفيع القوي بمثلنا السامية ، وقيمنا العليا ، والتصوف ظلمات جهالة وضلالة ، وخمول وكسل وجبانة وعزلة عن الحياة في قوتها ونبلها وتساميها ، ومن الخيانة الكبرى لهذه الثورة المؤمنة القوية أن ننتكس بها بدعوتنا إلى إحياء التصوف ، وانتهاج سبيله ! إنها دعوة إلى الهلكة والذلة

---

(٥٧) (ج٢ ص٩٣) .

(٥٨) (ج١ ص٨٨) .

والعبودية لكل طاغية غشوم يستطيع أن يزعم أنه الحقيقة الإلهية في صورة طاغية !

ثم إننا نسأل سؤالًا هادئًا لا تضج فيه صولة غضب ، وإنما تناسمه روح المحبة للخير والحق والسلام ؛ لقد أغلقنا مراكز البهائية ، وقضينا على هذه الأوكار الملعونة للخيانة ، ولعلنا أول من هلل لهذا القرار ، فقد نبهنا على خطر هذه الطائفة الملعونة في مجلتنا « الهدي النبوي » منذ سنوات .

والصوفية أستاذة البهائية ، وشيطانها ، فقد قالت البهائية بتجسد الحقيقة الإلهية في بعض بني الإنسان ، وكان أعظم تجسد لها في هيكل الملعون الطاغية الباغية ميرزا « حسين علي » الهالك الملقب بالبهاء ، أما الصوفية فتقول بتجسد الحقيقة الإلهية في كل شيء . فلنقطع رأس الثعبان وذنبه ، ولنقضِ على هذه الصوفية بصولة الحق ، فما في حياتنا اليوم مكان لمثل هذه الأساطير الملعونة ، والزندقة الباغية التي نقلنا لك نصوصها بأمانة ودقة عن كتاب « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي .

والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

عبد الرحمن الوكيل

الهدي النبوي - عدد ١ - سنة ١٣٨١هـ